KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

حديث الأربعاء للدكتور طه حسين في ضوء قوانين السلّم الحجاجي

أ.د. جواد كاظم عناد

الباحثة زهراء صباح يوسف

كلية التربية /جامعة القادسية

DOI: https://doi.org/10.36322/jksc.176(c).19726

ملخص:

يمثّل البحث مقاربة لحديث الأربعاء في ضوء قوانين السلّم الحجاجيّ، وذلك بعد بيان مفهوم (السلّم الحجاجيّ)، والقوانين التي يقوم عليها، وهي: (قانون الخفض، وقانون تبديل السلّم، وقانون القلب). والغاية هي تعرّف قدرة هذه القوانين في الكشف عن حجاجيّة هذا النّص، وقبول النّص نفسه أو استجابته لها.

الكلمات المفاتيح: (قوانين السلّم، حديث الأربعاء، قانون الخفض، قانون القلب، قانون تبديل السلّم).

Hadeeth Al arbiea' by Dr. Taha Hussein a study in The laws of peace pilgrimage

Prof. Dr. Jawad Kazem And

Researcher Zahraa Sabah yousef

College of Education, Al-Qadisiyah University

Abstract:

The research represents an approach to Wednesday's hadith in the light of the laws of the argumentative ladder, after clarifying the concept of (pilgrimage ladder), and the laws on which it is based, namely: (the law of reduction, the law of substituting the ladder, and the law of the invert). The goal is to know the ability

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.

مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

of these laws to reveal the argumentation of this text, and the acceptance of the text itself or its response to it.

Keywords: (The laws of peace, hadeeth of Al arbiea', reduction law, change of peace law).

المقدمة:

يشيرُ هذا المفهومُ إلى ما يضبطُ التدرّجَ أو الدّرجيّةَ من قوانينَ أو محكّماتٍ يتمُّ إعمالُها من المتكلّمينَ عندَ رغبتِهِمْ في إبرازِ وجهةِ نظرٍ معيّنةٍ وإعلائِها، انطلاقاً من معطياتِ المعنَى العام(١).

ويمكن القولُ: إنَّ سلطةَ قوانين السلّمِ الحجاجيّ ليستْ بالسلطةِ الرياضيّةِ الصارمةِ التي لا يمكنُ إغفالُها أو الحيدُ عنها، بلْ هيَ سلطةٌ وضَعَها المتكلّمُ لنفسِهِ لتنظيمِ خطابِهِ وبنائِهِ، ومنْ ثمّ يكشفُ هذا البناءُ السلّميّ عنْ حرّيةِ الذواتِ المتكلّمةِ في التعبيرِ، وفي اختيارِ درجاتِ السلّمِ ما دامتْ تصدرُ عن معرفةٍ مشتركةٍ، و"قدْ لا يكون للشيءِ، عُرفاً، المرتبةُ العُليا في السلّم إلّا أنّ مهارةَ المخاطَبِ التداوليةَ تحتجُّ لهُ حتى ترفعهُ فوقَ مرتبتِهِ بمراتب، بلْ قدْ يضعُهُ المخاطب في ذروتها، مثل تلك الأشياءِ أو الحالاتِ التي تحتكمُ إلى الذوقِ، إذْ يعمدُ المخاطبُ إلى رفعِها في السلّمِ"(٢)؛ لأنّ السلّمَ الحجاجيَّ يرجعُ في ترتيبِهِ والمفاضلةِ بين درجاتِهِ إلى المتخاطبَين أنفسِهما؛ فقد يرفعُ أحدُهما الحجّةَ الواحدةَ إلى أعلى السلّمِ من وجهة نظرِهِ، كما قد تنزلُ إلى أدْنَى السلّمِ بحسبِ وجهةِ نظرٍ أخرى، ولعلّ هذا ما ميّز السلّمَ الحجاجيَّ بإيجادِهِ العلاقةَ بينَ مكوناتِهِ، حتى يصلَ الأمر إلى أنْ يتعاكسَ المخاطبانِ في الخطابِ الواحدِ(٣)، ولكنّ الثابتَ في هذا كلِّهِ هو الصورةُ التي يتمُّ فيها إفراغُ المتغيّرات، وترجمةُ العلاقاتِ السلّميّةِ بينَ الملفوظاتِ بحسبِ تقديرِ ذلكَ في نظرِ المتكلّمِ(٤).

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

أولا: قانون الخفض:

ويتعلّقُ هذا القانونُ بما يدخلُ على الجملِ من حالاتِ النّفي التي تؤدّي بالملفوظِ الذي يقبلُ الترتّبَ في سلّمٍ معيّنٍ إلى انصرافِهِ للدلالةِ على معنًى يمكنُ تقريبُهُ بعبارةِ (أقل من)، فيتمُّ النّزولُ في السلّمِ وليسَ الصعودُ[٥]، ولذلكَ صِيغَ هذا القانون في الآتي:

"إذا كانَ ملفوظٌ (م) يشيرُ إلى مجالٍ منَ السلّمِ، فإنّ نفيَ هذا الملفوظ أي (~م) سيشيرُ إلى المجالِ الأدنى من هذا المجالِ في السلّمِ نفسِهِ"[٦]، ويمكنُ بيانُ ذلكَ في مثالِ سلّم الحرارةِ الذي يمكنُ تصويرُه كالآتي:

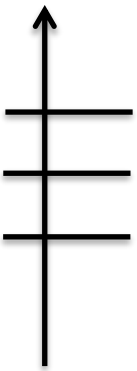

فنفيُ كلِّ رتبةٍ منَ السلّمِ يؤدّي إلى ما دونها منَ السلّم نفسِهِ، فقولنا: (ليسَ الجوّ بارداً جدّاً) ينتجُ عنهُ ما يقعُ أسفلَ مرتبةِ الحجّةِ الموجبةِ: (الجوُّ باردٌ)، ويصدقُ هذا على المرتبةِ الثانيةِ (الجوُ باردٌ)؛ فنفيُها ينتجُ: (الجو معتدل)، ولذلكَ قيلَ: إنّ قانون الخفضِ لا ينتجُ ما يمكنُ أنْ نتصوّره من درجاتٍ أعلى في السلّمِ، نحو (قارس)، و(صقيعي) مثلاً[٧].

ويمكن القولُ: إنّ هذا القانون يخضعُ لسياقِ الحالِ؛ ومنْ ثمّ يخضعُ لقابليةِ المخاطَب على وضعِ المراتبِ موضعَها، ومراعاةِ أنّ نفيَ رتبةٍ من السلّم يعني بشكلٍ أو بآخر، إثباتُ ما دونها. وهذا القانونُ معنيٌّ بقوّة

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

معلومةِ الإخبار، فنفيُ (الجو بارد جداً) إنّما هو نفيٌ للخبر؛ لإثباتِ مضمونِ خبرٍ آخر يتصلُ بالتقليلِ من (قوة البرودة)، ولعلّ هذا الإخبارَ بطريقةِ نفيِ الأقوى هو وجهٌ من وجوهِ القصدِ، أُريدَ به بلوغَ الخطابِ عتبةَ التصديقِ، فالإقناع.

ومن ذلكَ في حديثِ الأربعاءِ قولُ الدكتورِ طه حسين بعدَ عرضِهِ لمؤاخذاتٍ كثيرةٍ على بعضِ الرّواةِ الذينَ برعُوا في انتحالِ الأشعارِ والأخبارِ لتلهيةِ النّاسِ وتسليتِهِمْ: "إِذَنْ فَمِنْ الحقّ عَلَيْنا أَنْ نَشُكَّ فِي أَخْبارِ هؤلاءِ الرّواةِ حِينَ يروونها واثِقِينَ، وَأَنْ نُبالغَ فِي الشَكِّ حينَ يروونها مُتَحفّظينَ، وأَن نشتدَّ فِي المُبالغةِ حِينَ نراهُمْ يَخْتلفونَ فِيما بَيْنَهُمْ"(٨).

للشكِ منازلُ تشتدّ فيها قوّتُهُ، وتخبُو في بعضِها، وقدْ استندَ الدكتور طه حسين إلى هذهِ المنازلِ في معالجةِ المعنَى، فأولُها الشكُّ، ثمّ الشكُّ المبالغُ، ثمّ الاشتدادُ في المبالغةِ، وهذا منزلٌ يقعُ أعلى المنازلِ، وأجدرها بالأخذِ حينَ يختلفُ الرّواةُ في ما بينهم في الرّواية؛ لأنّ اختلافَ أهلِ الصنعةِ مُسقطٌ للاستدلالِ بِها، أو في الأقلِّ محوجٌ للوقوف برويّةٍ عندها.

ويمكن أن نضع هذا الترتيب لما مرّ:

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ن (عدم الاطمئنان بالأخبار في كل الأحوال).

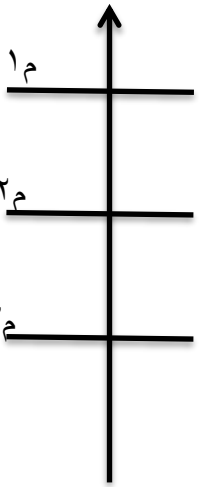

فهذهِ الملفوظاتُ جميعاً تنتمي إلى فئةٍ حجاجيّة واحدة تشتركُ عناصرُها في مساندةِ النّتيجةِ: (عدم الاطمئنان بأخبار الرّواة). وواضحٌ أنّ (م١) أقوى من (م٢)، والأخير أقوى من (م٣)، ومن ثمّ يؤدّي نفي (م١) إلى (م٢): (يبالغ في الشكِّ)، ونفي (م٢): (لا تبالغ في الشكّ) إلى (م٣): (نشكّ في أخبار الرواة).

ومنه، أيضاً، ما جاءَ في الفصلِ الذي عقدَهُ للحديثِ عن الكتبِ الثلاثةِ التي وصلتْهُ لقراءتِها ونقدِها، وهي: (جان جاك روسو، حياته وكتبه) للدكتورِ محمّد حسين هيكل بك، و(أشهر قصص الحب التاريخية) للأستاذِ سلامة موسى، و(رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب) للأستاذ مصطفى صادق الرافعيّ، قوله: "وَإِنّي لَأَعْلَمُ أَنّي سَأجِدُ فِي نَقْدِها أَو نَقْدِ بَعْضِها مَشَقّةً غَيْرَ قَلِيلَةٍ، فَكُلّها خَلِيقَةٌ بِالنّقدِ، وَبِالنّقْدِ الشّديدِ، وكُلُّها خَلِيقٌ بِالثّناءِ، وبِالثّناءِ الكَثِيرِ"[٩].

يمكنُ فهمُ هذا التوكيدِ الثقيلِ (وإنّي لأعلم أنّي...) في كلامِ الدكتورِ طه حسين، إذ وجدَ في نقدِ هذه الكتبِ

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

أو نقدِ بعضِها مشقّةً غيرَ قليلةٍ؛ لأنّها خليقةٌ بالنّقدِ، وبالنّقدِ الشديدِ، وبالثناءِ والثناءِ الكثيرِ. وهذا يُحيل إلى القول: إنّ النّقدَ والثناءَ مبعثُهُ أمران: أحدُهُما موضوعاتُ الكتبِ أنفسِها، والآخرُ أصحابُها، الذينَ كانوا يتصدّرونَ مشهدَ الثقافةِ العالِمةِ في مصر. فإذا أردْنا أن نعمدَ لوضعِ هذا القولِ في علاقةٍ سلّميّةٍ تفاضليّةٍ بالنّظرِ إلى هذينِ الأمرينِ ألفينا ملفوظاتٍ أربعةً، كلّ اثنينِ منها يُدرجانُ في سلّم: (النّقد والنّقد الشديد)، و(الثناء والثناء الكثير)، وقد تظافرت جميعاً لإسناد النّتيجة: (المشّقة غير القليلة).

ن (المشقّة غير القليلة)

م١ (كلّها خليقَةٌ بالنّقدِ الشَّديدِ).

م٢ (كُلّها خليقةٌ بالنّقدِ).

و(م١) هي الحجّةُ الأقوى في هذا السلّم، فلو حدثَ أن نُفي (م١) فثمّةُ صورتان لهذا النّفي؛ إحداهُما تستبطنُ مفهوماً مضمراً لا يؤدّي إلى (م٢)، وذلك في القول: (ليست كلّها خليقة بالنّقد الشديد)، فهذا يُخرجُ بعضَها من هذا النّقد الشديدِ، ويُبقي بعضاً. والأخرى أن يكونَ النّفيُ مسلّطاً على (الشديد)، وذلكَ في القولِ: (كلّها خليقةٌ بغير النّقدِ الشديدِ)، فالنّفي هنا يُحيلُ إلى (م٢): (كلّها خليقةٌ بالنّقد).

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويصحّ هذا على (الثناء) و (الثناء الكثير):

ن (المشقة غير قليلة)

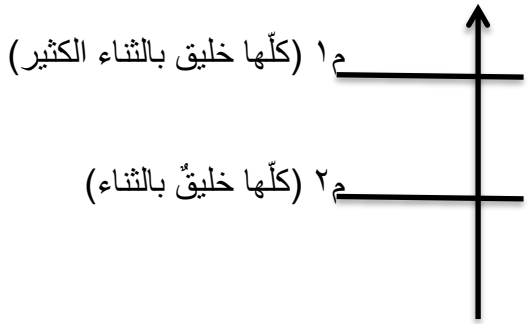

فالنّفيُ على طريقةِ سلبِ العمومِ (ليست كلّها خليقاً بالثناء الكثير)، يُخرجُ بعضاً ويُبقي بعضاً. أمّا النّفي بالقول: (كلّها خليقة بغير الثناء الكثير)، فإنّه يُحيل إلى (م٢) في هذا السلّم. وهذا النّفي لو حدث في السلّمين، لساوقَ ما قصدَ إليه الدكتور طه حسين.

ثانياً: قانون تبديل السلّم:

ويترتبُ على هذا القانونِ أنّ نفيَ أحدِ الحججِ المكوّنةِ للخطابِ يؤدّي إلى نفي نتيجةِ هذا الخطاب، ولذلكَ ينصُّ هذا القانونُ على "أنّهُ إذا كانَ القولُ دليلاً على مدلولٍ معيّنٍ فإنَّ نقيضَ هذا القول دليلٌ على نقيضِ مدلولهِ"[١٠]، ومن سبلِ بيانِ ذلك الحجّةُ (قرأ زيدٌ كتابَ سيبويه) التي تساند نتيجةً من قبيل (زيدٌ مُتضلّعٌ من علمِ النَّحْو)، فإنّ نفي الحجّة، أي (لمْ يقرأْ زيدٌ كتابَ سيبويه) هو نفيٌ لتضلّع زيد من علم النّحو (زيدٌ غير متضلع من علم النّحو)، ويمكن تصوير ذلك بالآتي:

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

زيد متضلّع من علم النّحو

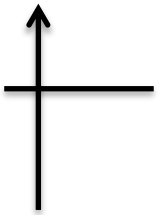

قرأ زيد كتاب سيبويه

وعند النفي:

زيد غير متضلع في علم النّحو

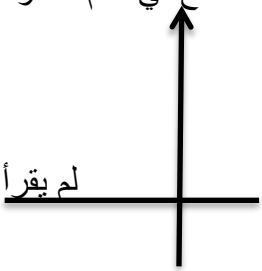

لم يقرأ زيد كتاب سيبويه

ومهما يكن من شيءٍ فإنّ هذا القانون على دقّته لا يمكن الجزمُ بنفاذِ نتائجِهِ؛ لسبب منطقي أنّ نفيَ الأمورِ لا يُثبتُ عكس ما كانت تدلّ عليه، فالنتائجُ لا تعتمدُ اعتماداً خالصاً على ظاهر القولِ، اللهمّ إلّا في ما يخصّ ارتباطَ القولِ بسياقٍ يحتّمُ نتيجةً واحدةً، وبالعودِ إلى المثالِ السابقِ (زيدٌ لم يقرأْ كتابَ سيبويه) لا يعدم القول بتضلّعه من النّحو)؛ لأنّ مصادرَ هذه النتيجةِ متعددةٌ؛ ذلك أنّ (زيد) قد يكونُ اطّلعَ على غير(كتاب سيبويه)، فيكونُ بذلكَ قد حققّ النتيجةَ نفسَها مع نفيِ القولِ الأول, ولعلّ هذا القانون يشيرُ، في ما يشير إليه، إلى عنايةٍ بالحجّة الداعمة للنتيجة المثبتة، فقراءة (زيد) لـ (كتاب سيبويه)، وعلى شيوخٍ كبار، مثلاً، يشول معها أنّه متضلّع من النّحو.

ومن أمثلةِ هذا القانون حديثُ الدكتور طه حسين في مَن يتخذُ في التاريخ مذهبَ تقديسِ السلفِ وتنزيهِهِ

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

عن الصغائر، ويسبغُ الدينَ عليه، فيمجّدُ القديمَ، ويسرفُ في تمجيدِ أصحابِهِ، قال: "فَأَنْتَ لَا تَنْظرُ إِلى هؤلاءِ النّاسِ نَظَراً عِلْمِيّاً مُجَرَّداً بَرِيْئاً، وَإِنّمَا تنظرُ إِليهِم نَظَراً مُتَّهَماً، مِلؤهُ الإِعْجابُ والإِكبارُ؛ لِأَنَّكَ تَتَأَثَّرُهُمْ، وتَحْتَذِي عَلَى مِثالِهِمْ، وإِذَنْ فَرَأيُكَ فِيهِمْ غَيرُ صَحيحٍ، وحُكْمُكَ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ مُتَّهَمٍ ..."[١١].

ويمكن تصوير الحجّة والنّتيجة في هذا القانون بالآتي:

ـــــــ أنتَ لا تنظرُ إلى هؤلاء نظراً علمياً مجرّداً ....ح

ـــــــــ رأيُكَ فيهم غيرُ صحيح وحكمُك لهم أو عليهم متّهم .... ن

(رأيك فيهم غير صحيح وحكمك لهم أو عليهم متّهم)

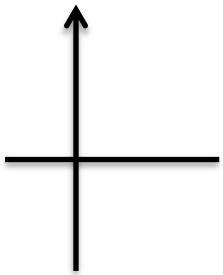

أنت لا تنظر إلى هؤلاء نظراً علمياً مجرّداً

والذي يلحظُ على سلّم هذا القانون في النّص المذكور أنّ الحجّة سالبة، ولذلك كانت النّتيجة سالبة أيضاً، ولمّا كان نفي النّفي موجب فإنّ نفي الحجّة سيصيّرها موجبة، أي: (أنت تنظر إلى هؤلاء نظراً علمياً مجرّداً)، ولذلك ستكون النّتيجة: (رأيك فيهم صحيح وحكمك لهم أو عليهم بريء).

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

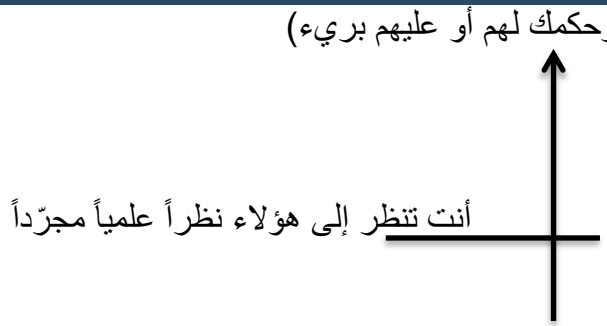

وهذا ما يُرجى في كلّ باحث حتى يكون منصفاً ذا حكمٍ سليمٍ؛ لأنّ سنّة الاختلاف والمعارضة سنّة تساوقَ العقل البشري وامتدادها معه لا يُستغرب منه؛ إذ تسير العقول في خطوط متفاوتة، مرة بالتوازي، ومرة بالتضاد، وتقترب أو تتباعد تبعاً لعوامل عدّة، وهذا الأمر ينسحب على الأدب، فالخصومةُ فيه مشروعةٌ ما دامتْ في إطارِ الأدبِ؛ لأنّ موجديها ربما يختلفونَ مع الزمن، وتبقى آراؤهم، وكأنّ الدكتور طه حسين يشير إلى الموضوعيّة في البحث، التي تقوم على مقاربةِ الأشياء نفسِها من دون تأثّرٍ بما أو بمَن تنتمي إليه، أو بما أو بمَن تتحدّث عنه .

وفي الفصلِ الذي عقده للحديث عن القديم والجديد والخصومة بين أنصار كل مذهب منهما، لا سيما الخصومة بين (سلامة موسى)، و(مصطفى صادق الرافعي)، قال بعد عرضه لشيءٍ منها، وإشارته إلى استمرارها في الأدب العربي كما استمرت في الآداب الأخرى: "وَسَتَظَلُّ الْحَالُ كَذلكَ ما دامَ للغةِ العَربيّةِ والأَدَبِ العَرَبِي حَظٌّ مِنْ حَيَاةٍ، هذهِ الخصومةُ إِذَنْ مَشْروعةٌ، سَواء أَكَانَتْ نَافِعَةً أَمْ لَمْ تَكُنْ، فَلَيْسَ الأدبُ العَرَبيُّ بِدْعاً مِنَ الآدابِ، وَلَيْسَ الأَدَبُ العَرَبيُّ العَصريُّ بِدْعاً مِنَ الآدابِ العربيةِ المُخْتلفةِ"(١٢).

وتتمثل الحجج المتساندة والنّتيجة في النّص المذكور بالآتي:

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ـــــــــــ للغة العربية والأدب العربي حظٌ من حياة ... ح

ـــــــــــ استمرار الخصومة ومشروعيتها ... ن

(استمرار الخصومة ومشروعيتها)

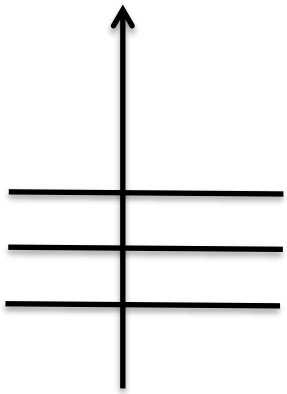

ـــ للغة العربية والأدب العربي حظٌ من حياة

ـــ ليس الأدب العربيّ بدعاً من الآداب

ـــ ليس الأدب العصري بدعاً من الآداب العربية المختلفة

فالدكتور، هنا، لم يتقبلْ الخصومةَ ويؤمن بها فحسب، بل جعلها نتيجةً مفروغاً منها لحجّة (حياة اللغة العربية والأدب العربي)؛ فالاختلاف والتعارض لا يبتعد عن بني البشر، ويتصل الأمر كذلك باللغة العربية والأدب العربي؛ فالخصومة فيه مشروعة ما دامت في إطار الأدب واللغة، واستمرارها يعني استمرارهما، لأنّ عدم الاختلاف في شيءٍ ما أو مداولته كثيراً ربما أمات هذا الشيء وأنهاه.

وعند نفي الحجّة، أي: (ليس للغة العربية والأدب العربي حظّ من حياة) ستكون النّتيجة سالبة أيضاً، أي: (عدم استمرار الخصومة وعدم مشروعيتها).

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

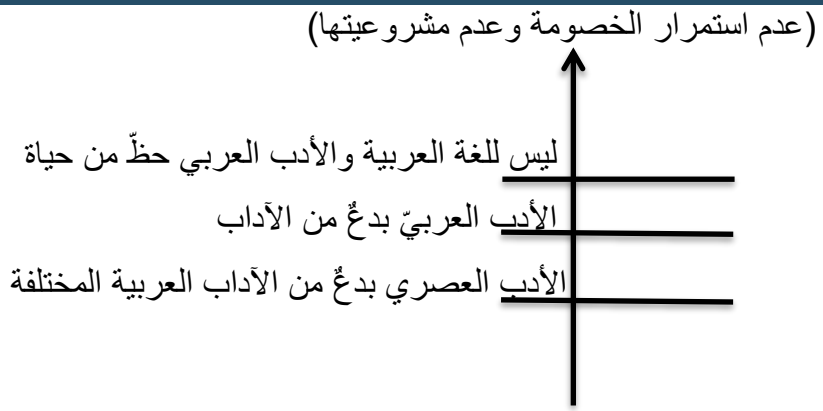

فكون اللغة العربية والأدب العربي غير مستمرَّين يعني أنّ هذه اللغة انحسرت، فلم تعُد لغةً لشعرٍ يُنظم، أو كُتبٍ تؤلّف، أو لغةَ حياة، أو أنّ ثمّة انكفاءً حضاريّاً رانَ على كلِّ شيءٍ، فكان المدارُ الاجترارَ والتلقينَ، والعكوفَ على مثالاتٍ لا تُفارق.

ثالثا: قانون القلب:

ومقتضى هذا القانون "أنّه إذا كان أحدُ القولينِ أقوى من الآخر في التدليلِ على مدلولٍ معيّن فإنّ نقيضَ الثاني أقوى من نقيض الأولِ في التدليلِ على نقيضِ المدلول"[١٣]، وكأنّ السلّم متضمّنٌ للحجج السالبة المتّجهة للنّتيجة السالبة أيضاً، أي هو مقلوب السلّم المتضمّن للحجج الموجبة المتجهة نحو النّتيجة الموجبة[١٤]، ويمكن بيان ذلك بالملفوظَين الآتيين:

١ـــ الملفوظ الموجب:

ـــــ بلغ زيد مستوى علميّاً مهمّاً، فقد نال الماجستير وحتى الدكتوراه .

٢ـــ الملفوظ السالب:

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ـــــ لم يبلغ زيد مستوًى علميّا مهمّاً، فهو لم ينل الماجستير فضلاً عن الدكتوراه.

ففي المثالِ الأولِ يردُ الملفوظُ (نال الدكتوراه) بعدّهِ الحجّةَ الأقوى في الوصولِ إلى النّتيجةِ (بلغَ زيدٌ مستوى علميّاً مهمّاً)، من دون إغفال ما للرابط (حتى) من وظيفة في ترتيب الحجج؛ فقد أدرج (نال الدكتوراه) بعدّها الحجّة الأقوى في مساندة النّتيجة مقارنة بحجّة (نال الماجستير)، وفي الملفوظ الثاني المنفي (لم يبلغ زيد مستوًى علميّا مهمّاً) يكون عدم حصوله على الماجستير هو الحجّة الأقوى على عدم بلوغه المستوى العلميّ المرجوّ.

ويمكن تمثيل ذلك سلّميّاً على النّحو الآتي:

١ـــــ الحجج موجبة تساند نتيجة موجبة:

بلغ زيد مستوى علميّاً مهمّاً

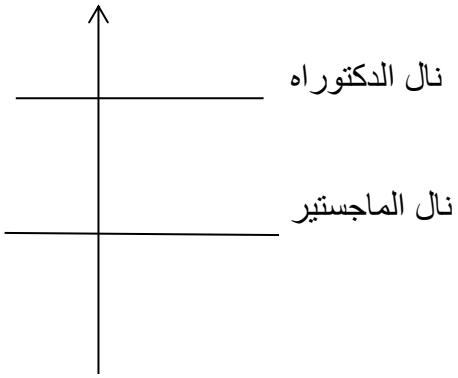

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٢ ـــ الحجج سالبة تساند نتيجة سالبة أيضاً:

لم يبلغ زيد مستوًى علميّا مهمّاً

ومن أمثلته، أيضاً، في حديث الأربعاء قول الدكتور طه حسين في حُسن توظيف الشاعر القديم للأشياء: "وأمَّا الشَّاعِرُ، والشَّاعِرُ القَدِيمُ خاصّة، فَإنّهُ لَا يَرَى شَيْئاً، وَلَا يَسْتَخْدِمُ شَيْئاً إلّا حَقَّقَهُ وَتَصوّرَهُ، وَأَمْعَنَ فِي تَحْقِيقِهِ وفِي تَصْويرِهِ، ثُمَّ صَوّرَهُ فَأَحْسَنَ تَصْويرَهُ، ثُمَّ أَعْرَبَ عَنْ هذا التَصْوير فَأَحْسَنَ الإعْرابَ، كَمَا فَعَلَ لَبِيدُ"(١٥).

ويمكن النّظر للحجج والنّتيجة المكوّنة لهذا النّص سلّمياً كالآتي:

ـــــــ الشاعر القديم شاعر مُجيد أو مُحسن ... ن

ـــــــ تحقيق وتصوّر ما يراه ويستخدمه... ح١

ـــــــ الإمعان في التحقيق والتصوير ... ح٢

ـــــــ إحسان ما يصوّره ... ح٣

ـــــــ الإعراب عن التصوير ...ح٤

ـــــــ إحسان الإعراب ... ح٥

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

يفترض الدكتور طه حسين أنّ اللحظة الشعريّة تقوم على مراحل، فالشاعر (لا يرى شيئاً، ولا يستخدم شيئاً إلّا حقّقه وتصوّره)، ثمّ (يمعنُ في التحقيق والتصوير لهذا الشيء)، ثمّ (يحسنُ ما يصوّره)، حتى يبلغ الإعراب عن هذا التصوير فيحسن الإعراب. وهذه الحجج بُنيت على سلّم تصاعديٍّ ابتدأ بالأضعف قوّةً وبالأوّل حدوثاً، وانتهى بأقواهنّ (الإحسان في الإعراب).

الشاعر القديم شاعر مُجيد أو مُحسن

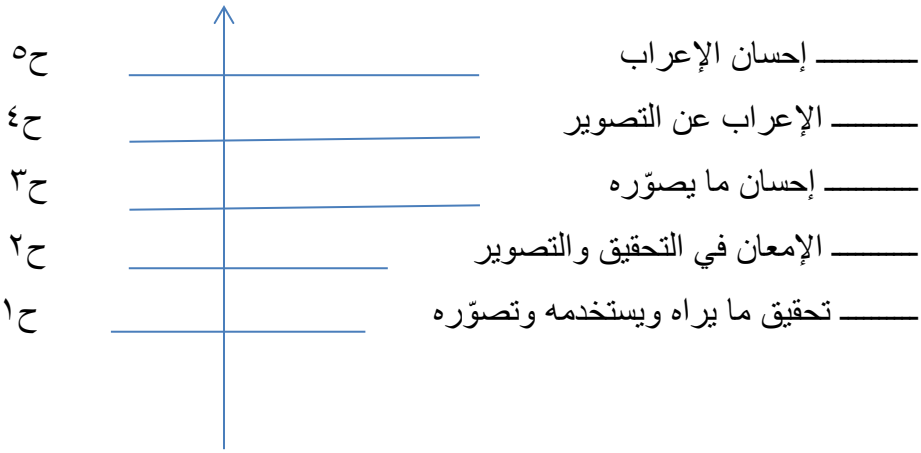

وإذا ما أدخلنا عامل النّفي على هذه الحجج فإنّ الحجّة الدنيا في السلّم الموجب ستكون هي العُليا على وفق قانون القلب في السلّم، الذي تساند بموجبه الحجج السالبة نتيجة سالبة، ويمكن تمثيله بالآتي:

ـــــــ الشاعر القديم شاعر غير مُجيد أو محسن، فهو لم يُحسن الإعراب عن التصوير، ولم يحسن، أيضاً، ما يصوّره، ولم يمعن في التحقيق والتصوير.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الشاعر القديم شاعر غير مُجيد أو مُحسن

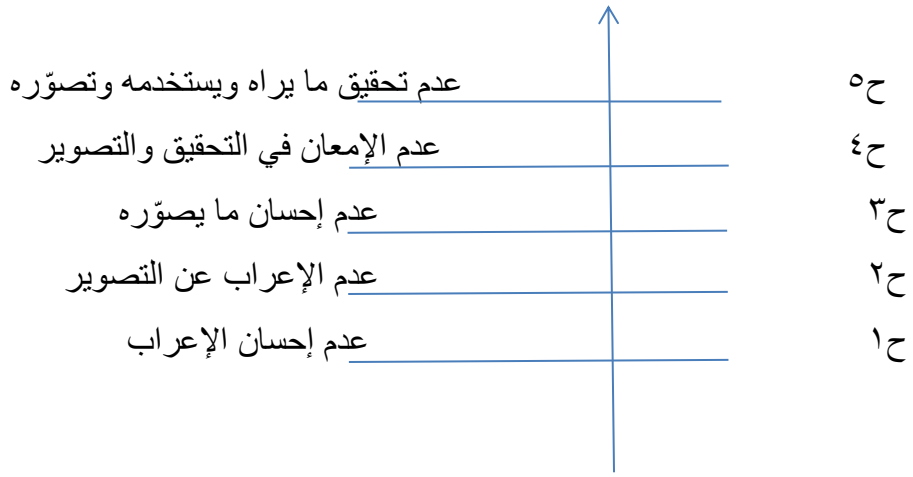

وعلى هذا النّحو ما ورد في ردّ الدكتور طه حسين بعد أن عاب بعض النّاس عليه، وعلى جريدة السياسة حديثه عن الأندية الأدبية في العصر العباسي، وتطرّقه لشعراء الشك والمجون؛ تحرّجاً منهم، وإشفاقاً على أخلاق الشباب، قال: "وَنَسْتَطيعُ أَنْ نُؤكّدَ لَهُمْ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالحَ مِنَ المُسْلمينَ كانَ أَشَدَّ مِنْهُمْ بِاللهِ إيْماناً، وأَكْثَرَ مِنْهُمْ للهِ طاعةً، وكانَ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ أَرْحَبَ مِنْهُمْ صَدْراً، وأَشَدَّ احْتمالاً، فَكانَ يَسْمعُ للجِدِّ، وكانَ يَسْمعُ للهزلِ، بَلْ كانَ يَجِدُّ وكانَ يَهْزلُ ..."[١٦].

يستندُ الدكتور طه حسين في هذا النّصِ إلى عنصرِ الزمنِ وسيرةِ السلفِ الصالحِ في تهيئةِ ذهنِ المخاطَب نحو نتيجةٍ مفادُها: (إباحة الجد والهزل)، فهؤلاء، السلف الصالح، كانوا أقرب وأحقّ في فهم هذه الدّعوة وتمثّلها. لذلك كانت الحجة الأولى (السلف الصالح يسمعُ للجد وللهزل) أقلّ رتبة من الثانية (بل كان يجد ويهزل)، وهي الحجّة الأقوى في السلّم، و يتصل الأمر هنا بالاستعمال التساوقي للرابط (بل)، وما له من

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وظيفة الربط والوصل بين الحجج المتساوقة التي يساندُ بعضُها بعضاً، وتخدمُ نتيجةً معيّنةً من دونِ إغفال ما لهُ من أثرٍ كبيرٍ في إدراجِ الحجّةِ الأقوى، بالقياس مع الحجّة أو الحجج السابقة[١٧]، فكانت هذهِ الحججُ ملتصقةً بالسلفِ، ولمّا تقدم الزمن عليهم، وظهر مَن يحاول فهمَ الدين بما وصل إليه استدعاها وأفادَ منها، لئلّا يتورّع المحدثون في منع الهزل والحديث عن النّوادي، وما إلى ذلك.

يمكن أن نُدرج ما ورد في كلام الدكتور طه حسين في سلّمين؛ أحدهما يتصل بأفضليّة السلف الصالح على هؤلاء المعترضين:

ن (السلف الصالح أفضل)

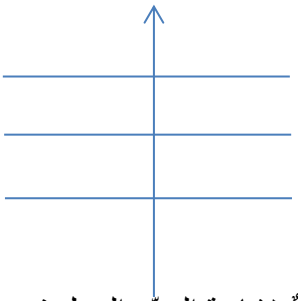

ـــ كانوا أشدّ بالله إيماناً م١

ـــ وكانوا أكثر طاعةً م٢

ـــ وكانوا أرحب صدراً وأشدّ احتمالاً م٣

في الأول بيانٌ لمزايا السلف الصالح، وفي الثاني بيانٌ لإباحة الجدّ والهزل في هذه الحياة إضافةً إلى الثقافة، والآخر يتصل بإباحة الجدّ والهزل؛ إذ مارسه السلف الصالح، وهؤلاء أولى بالاتّباع، بالنّظر إلى حجج السلّم الذي مرّ.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

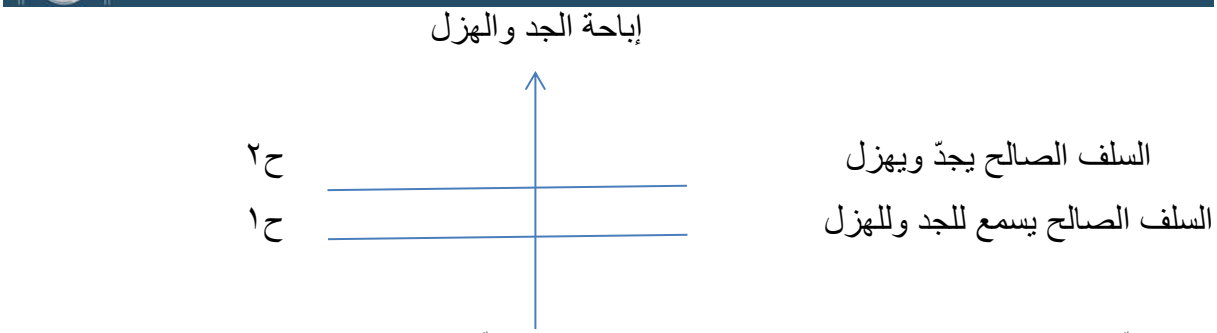

وعند النّفي تكون الحجّة الدنيا هي العليا، فتضفي السلب على النّتيجة.

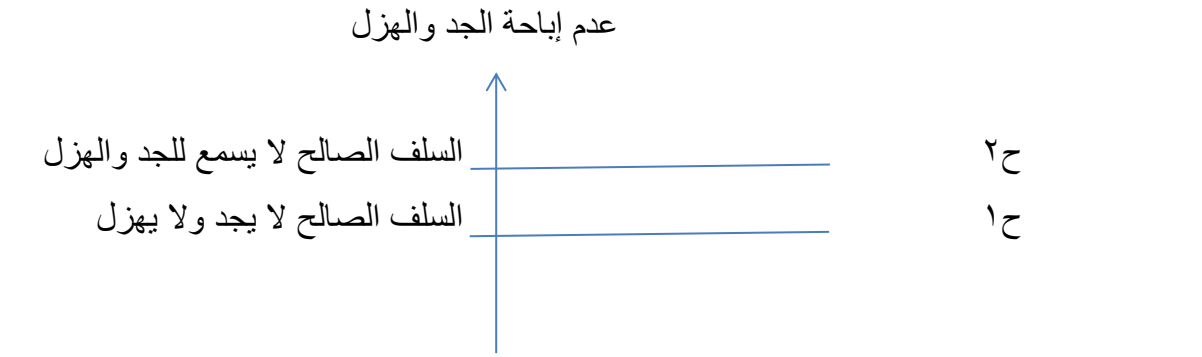

وبهذا بدا، في هذا المبحث، ما لاستعمال الدكتور طه حسين من عناية في ترتيب ملفوظاته، وحججه ترتيباً إجرائيّاً أو قصديّاً، يجعل الجمل أكثر سبكاً بالترابط والترتيب في ما بينها، كما يجعلها أكثر قوّةً في التأثير في الآخر؛ وكأنّه يجعلها يشدّ بعضُها بعضاً.

الخاتمة:

ـــ تعد السلالم الحجاجيّة مظهراً معزّزاً لمقولة أنّ وظيفة اللغة تتجاوز التواصل إلى ما هو أبعد منه؛ ذلك أنّ المتكلّم عارفٌ بنظام اللغة، وإن كانت معرفة نسبيّة، فيكون، بسبب من ذلك البناء أو النّظام مقصوداً في

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

أغلبه، ولا سيما إن كان هذا المتكلّم متحكّماً بسير الحوار، مديراً له، على وفق منهج مختار منه، وغاية مرادة، وهو ما عليه حال الدكتور طه حسين في (حديث الأربعاء). والقصديّة دلالة على إرادة المتكلّم تحقيق غايةٍ هي (التأثير)، وهي الغاية الظهرى من الوجهة اللسانيّة الحجاجيّة.

ـــ يمكن القول: إنّ أثر التداوليّة العامّة، بما هي دراسة اللغة في الاستعمال يبلغ منازل عُليا في قوانين السلّم الحجاجيّ، وبعض أدواته. أمّا القوانين فقد تخضع لسياق الحال، وقابليّة المخاطب على وضع المراتب موضعها، فنفي رتبة من السلّم، بالنّسبة لقانون الخفض مثلاً، يعني بشكل أو بآخر إثبات ما دونها، وكذلك مع قانون تبديل السلّم، الذي يشير إلى أنّ نفي أحد الحجج المكوّنة للخطاب يؤدّي إلى نفي نتيجة هذا الخطاب، نحو الحجّة: (قرأ زيدٌ كتاب سيبويه)، والنّتيجة: (زيدٌ متضلّع من علم النّحو). وبالاستناد إلى هذا القانون، فإنّ نفي قراءة زيد لكتاب سيبويه تنفي تضلّعه من علم النّحو، ولكنّ هذا الأمر لا يكون على إطلاقه حين يؤخذ سياق الحال مثلاً بنظر الاعتبار؛ لأنّ مصادر هذه النّتيجة متعددة؛ ذلك أنّ (زيداً) قد يكون اطّلع على غير كتاب سيبويه، فيكون بذلك، قد حقّق النّتيجة نفسها مع نفي القول الأول.

هوامش البحث:

(١) ينظر النّظريات اللسانية الكبرى من النّحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو ـ جورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢: ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

(٢) آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتحرير: د. حافظ إسماعيل علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد ـ لبنان، ٢٠١٠: ١ / ١٢٧ .

(٣) ينظر المصدر نفسه: ١ / ١١٢ .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

(٤) ينظر المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠١٤: ١١٢ .

(٥) ينظر المصدر نفسه: ١٢١ .

(٦) المصدر نفسه: ١٢١ ، وينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٨: ٢٧٧ ــ ٢٧٨ ، واللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠٠٦: ٢٤ ـ ٢٥، وآليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ٩٦ ، والحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ٦٢ .

(٧) ينظر المظاهر اللغوية للحجاج: ١٢٢، وعلم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨: ٤٣.

(٨) حديث الأربعاء: ١ / ١٨٤ .

(٩) حديث الأربعاء: ١١٠ ، وينظر على هذا النحو في الكتاب: ١ / ٣٥ ، ٦٥ ، ٩٣ ، و٢ / ٢٢٢ ، و٣ / ٧٦، ١٠١، ١٧١، ٢٠٨ ، ٢٣٩ .

(١٠) اللسان والميزان: ٢٧٨ ، وينظر المظاهر اللغوية للحجاج: ١١٨ ـ ١١٩ ، وآليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ٩٦.

(١١) حديث الأربعاء: ٢ / ٦٢ .

(١٢) حديث الأربعاء: ٢ / ٢٤٦ .

(١٣) اللسان والميزان: ٢٧٨ .

(١٤) ينظر المظاهر اللغوية للحجاج: ١١٩ .

(١٥) حديث الأربعاء: ١ / ٣٥ .

(١٦) حديث الأربعاء: ٢ / ٤١ ، وينظر: ١ / ٦٥ ، ٦٩ ، و ٢ / ٤٣ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٩٤ .

(١٧) ينظر اللغة والحجاج: ٦٤ .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

مصادر البحث:

- الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتحرير: د. حافظ إسماعيل علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد ـ لبنان، ٢٠١٠.
- حديث الأربعاء، طه حسين، ط١٧، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٩.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٨.
- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠٠٦.
- المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيّات اللسانيّة، رشيد الراضي، ط١، المركز الثقافيّ العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠١٤.
- النّظريات اللسانيّة الكبرى من النّحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو ـــ جورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الرّاضي، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.